

الكرامة

كرامة الوطن من كرامة المواطن

عن فضائحهم التي لاتنتهي - حكام الهوان في الخدمة الأمريكية

د. ر عوف عباس

الثلاثاء، 20 فبراير 2007

ليس هناك عربي واحد لم يشعر بالهوان في غياب الإستقرار السياسي بفضل النظم منتهية الصلاحية التي لاهم لها سوى البقاء على مقاعد السلطة حتى يقضى الله أمره، ولا يكتفون بنهب ثروات بلادهم ورعاية الفساد، ولكنهم يفرطون في الأمن القومي خدمة لمصالح أمريكا، وإرضاء للرئيس الأمريكي، ولا يستحيون من الوصف الذي تطلقه عليهم الصحافة الأمريكية، الذي يصفهم بالحلفاء والأصدقاء في معرض الثناء، والعملاء والأتباع وحكومات الماريونت (العرائس)، في معرض اللوم على العجز عن التنفيذ الدقيق لما يسند إليهم من مهام، ولا نرى لحمرة الخجل أثراً عندهم إذا أشير إليهم بأسمائهم، ولا نشعر بغيرتهم عندما يشار إلى بلادهم بالإسم بإعتبارها ركائز للهيمنة الأمريكية، وقواعد للمشروع الإمبريالي الصهيوني-أمريكي.

ولعل أبرز مثل لعصر الهوان الذي كتب علينا أن نعيشه ما يحدث في فلسطين من إعتداءات صهيونية يومية على الشعب الفلسطيني من الحصار والتجوع إلى سفك الدماء، وإمتهان كرامة العرب والمسلمين جميعاً بما يحدث الآن من تقويض لدعائم المسجد الأقصى بشق الأنفاق تحته، ومايقال عن بناء معبد يهودي أسفلته تمهيداً لإزاحته تماماً، طالما كانوا واثقين تماماً من طاعة الحكام العرب، وإكتفائهم بتصريحات الشجب والإستكار. وكان مشهد تعدى الأمن المصري على المحتجين في الأزهر صورة نمطية للطريقة القذرة التي تعامل بها (الإسرائيلي) مع مظاهرات الإحتجاج الفلسطيني في مسجد الأقصى في يوم الجمعة ذاته، فمنع الأمن المصري المصلين من الوصول إلى الأزهر، ولم يسمح إلا لكبار السن بدخول المسجد تماماً كما فعل الصهاينة في مسجد الأقصى، وصدرت بيانات الشجب على إستحياء من العواصم العربية الصديقة للصهاينة والأمريكان، وربما تضرع الحكام إلى أبيهم الذي في البيت الأبيض ليطلب من الكيان الصهيوني التروى في عملية تخريب المسجد الأقصى حتى يعفيهم من الحرج أمام شعوبهم، فماذا يكون الهوان إذن إذا وصف هذا المشهد بغير ذلك؟!!

ومن عجب أن يتغافل أولئك الحكام عما تفيض به الصحافة الأمريكية من مقالات وتحليلات حول السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وماصدره بعض مراكز الأبحاث الأمريكية المستقلة من دراسات تؤكد أن سياسة بوش الشرق أوسطية صممت لخدمة مصالح الصهيونية، وأن صناعاتها من خيرات الشرق الأوسط الذين يعتمد عليهم البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي الأمريكي والمخابرات المركزية ووزارة الدفاع الأمريكية هم جميعاً من الصهاينة من صناعات اللوبي الصهيوني " إيباك " ومن الذين يحملون الجنسية (الإسرائيلية) إلى جانب جنسيتهم الأمريكية. وقصة الضجة التي أثارها الدراسة التي انشرها ستيفن والت أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد وفضح فيها ارتباط السياسة التوسعية الأمريكية في الشرق الأوسط بالأجندة (الإسرائيلية)، وخدمتها لمصالح (إسرائيل) على حساب المصالح الأمريكية ذاتها معروفة تداولتها وسائل الإعلام بالغرب. عندما تلم الرجل "وهو يهودي" بمعاداة السامية، وقد منحه منصبه كمدير لمركز البحوث السياسية والإستراتيجية بجامعة هارفارد، ولم يقوده ذلك عن نشر الدراسة كاملة في كتاب صدر عام 2005 بعنوان "ترويض القوة الأمريكية"، ناهيك عما يكتبه نعم تشومسكي عن نفس الموضوع (وهو يهودي أيضاً) وآخر مقارنات له كتاب بعنوان "أحاديث حول الأطماع الإمبريالية" أجراها معه الصحفي الأمريكي البارز دافيد برسامبان نشرت في كتاب بنفس عنوان صدر عام 2005 أيضاً قال فيه أن سياسة بوش الشرق أوسطية تخدم المصالح (الإسرائيلية) وحدها.

هذه السياسة تركز على زلزلة الإستقرار في المنطقة بغزو العراق، "وتغيير" النظام في سوريا، وتقليم أظافر إيران تويداً لإسقاط النظام الإيراني، وتفكيك السودان ومصر، ثم تحويل المنطقة إلى كيانات صغيرة طائفية، يضمها "الشرق الأوسط الجديد" أو "الكبير" بزعامة (إسرائيل).

هذا الكلام ليس كلام مصاطب، وليس من عندنا، ولكنه مفصل في كتابات الأمريكيان أنفسهم في العديد من المقالات والدراسات. بل تناولت أطرافاً منه وزيرة الخارجية الأمريكية في تصريحات عند زيارتها السابقة للمنطقة، لعل أشهرها وصف العدوان (الإسرائيلي) على لبنان في يوليو الماضي بأنه مخاض ميلاد الشرق الأوسط الجديد.. وجاء الإنتصار الإستراتيجي الذي حققته المقاومة اللبنانية بكسر أسطورة العدو الذي لا يقهر، وإلحاق الخسائر بالعمق (الإسرائيلي) على نحو لم يعرفه الكيان الصهيوني منذ نشأته، ليقرب الموازين.. إذا كانت الحال كذلك، فأى سيد يخدمه حكام عصر الهوان: أمريكا أم (إسرائيل) ؟

ولما كانت أهداف الهيمنة الأمريكية في المنطقة يعرفها القاصي والداني، ولم تعد خافية على أحد، فهم لا يخدمون سوى (إسرائيل). مقابل ماذا؟ الإستمرار في السلطة؟ إذا كان ذلك هو الهدف الأسمى عندهم، وإن ترتب عليه إن يصبح الأمن القومي في خراب كان، فكيف يكون الهوان؟!

لعل ذلك يفسر الصمت الرسمي عن كل ماشهته المنطقة من مظاهر زعزعة الإستقرار في لبنان والعراق والجزيرة العربية والسودان.. الإغتيالات ذات المستوى العالي من التدبير والتنفيذ التي لا يقوى عليها إلا جهاز مخابرات لديه قدرات عالية، والمذابح التي يشهدها العراق صباح مساء، ما جرى في السودان وشرق أفريقيا (العمق الإستراتيجي لمصر)، وكل الدلائل تشير إلى أن صاحب المصلحة الوحيدة (إسرائيل)، ورغم ذلك تردد أجهزة الإعلام في البلاد الحليفة/التابعة لأمريكا و(إسرائيل) مايقوله سادتهم من إتهام سوريا تارة وإيران تارة أخرى، وشبح وهمي هو " القاعدة " مرة ثالثة، رغم حقيقة ما كشفت عنه التقارير الأمريكية الرسمية وغير الرسمية من تواجد كثيف للمخابرات (الإسرائيلية) الموساد في لبنان وصلات مع حلفاء الأوس زمن الحرب الأهلية، ومن علاقات (إسرائيلية) مع حركات التمرد في السودان، ناهيك عن العلاقات مع إثيوبيا، بل وإختراق الفصائل الفلسطينية ذاتها.

إذا كان حكام عصر الهوان يعرفون ذلك فتلك مصيبة، وإذا زعموا أنهم لايعرفون فهو جرم بَيِّن لن يغفره التاريخ.

آخر ماقرات عن ذلك التماهي بين مشروع الهيمنة الأمريكية على بلادنا وأهداف الكيان الصهيوني مقال كتبه مسئول متقاعد كان يعمل بالمخابرات المركزية يدعى راي ماكجفرن نشر يوم 10 فبراير 2007 بالمدونة الإلكترونية الأمريكية "معادة الحرب Anti-war" يروى فيه خلفية تبني جورج بوش لمصالح الكيان الصهيوني.

كان أول لقاء بين جورج بوش "الإبن" حاكم تكساس، وأربيل شارون وزير خارجية (إسرائيل) في أواخر عام 1998، فقد زار بوش (إسرائيل) في رحلة رتبها له وصحبه فيها ماثيو بروكز مدير الائتلاف الجمهوري اليهودي، وحرص شارون على أن يرتب جولة لبوش بطائرة هليكوبتر حطت بهم فوق فلسطين (الكيان الصهيوني والأرض المحتلة) ختمها بزيارة لجبل الموعظة حيث وقف يصلي وقد فاضت عيناه بالدموع. وينتقل صاحب المقال عن ماثيو بروكز قوله: "هذه الرحلة كانت بداية ارتباط جورج بوش بإسرائيل، وعندما عاد إلى تكساس كانت إسرائيل قد استقرت في قلبه منذ ذلك اليوم".

ولا أدل على تأثر بوش بهذه الزيارة من ذكره لها في أول اجتماع له بمجلس الأمن القومي بعد توليه الرئاسة، عقد في 30 يناير 2001 وبعدها ذكر مدى تأثره بما شاهده هناك أعلن أمام المجلس تخليه عن لعب الولايات المتحدة دور الوسيط بين العرب و (إسرائيل) وأن يترك الحبل على الغارب (إسرائيل) لتحل مشاكلها مع جيرانها على طريقها بما يخدم مصالحها وفق ما يراه شارون، وعندما أبدى كولن باول (وزير الخارجية) مخاوفه من أن يؤدي ذلك إلى تدهور الموقف في المنطقة والإضرار بالمصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة، إكتفى بوش بهز أكتافه علامة على عدم الإكتراث.

وعندما زار الملك عبد الله بن العزيز أمريكا في أبريل 2002 (عندما كان وليا العهد)، إستقبله بوش في ضيعته بتكساس وعندما تطرق الحديث إلى ماجرى في فلسطين لم يبد بوش إهتماما بمناقشة أمر يراه شأنًا (إسرائيليا) خالصا.

وإقتصرت لقاءات الرئيس بوش مع شارون عامي 2003 و2005 على مناقشة البرنامج النووي الإيراني، وما يمثلته من خطر على (إسرائيل)، ولم يكتف بوش بأقرار حق (إسرائيل) في ضم المستوطنات المُقامة على الأراضي المحتلة باعتبارها "حقائق على الأرض" عند طرحة لفكرة الدولتين، بل تعهد بضمان الأمن القومي (الإسرائيلي) وأعطى (إسرائيل) تفويضا بالتصرف كما تشاء مع جيرانها، بما في ذلك سياستها تجاه السلطة الوطنية الفلسطينية وتجميد أعمال اللجنة الرباعية والعدوان على لبنان.

هذا ما ذكره ماكجفرن رجل المخابرات المركزية الأمريكية المتقاعد في مقاله، وهو لا يذبح سراً فكل ما جاء به من المعلومات مطروح ومتداول في العديد من الدراسات والمقالات السابقة، بل وأمام لجان الكونجرس، فلا عذر بالجهل يمكن أن يتعلل به حكام عصر الهوان.

ونشهد الآن تهيئة المسرح لتوجيه ضربة جوية إلى إيران تشير التسريبات إلى أنها قد تحدث في الأسبوع الأول من إبريل. وتجرى الإستعدادات على قدم وساق لتجهيز ملف مبررات الضربة الأمريكية المرتقبة لأكثر من مائة موقع في إيران على نحو ما حدث من إعداد مبررات غزو العراق التي ثبت أنها كانت مفبركة تماماوأُعدت الخطط اللازمة لذلك، وهي الخطط التي قال عنها سكوت ريتز مفتش الأسلحة الذي كان عضوا بفرق التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق، قال عن خطة ضرب إيران أنها "صناعة إسرائيلية"، وأوفدت (إسرائيل) البريجادير جنرال عوديد تيرا إلى واشنطن في ديسمبر الماضي ليعمل على إقناع أعضاء الكونجرس من الحزب الديمقراطي بأهمية دعم توجيه ضربة استباقية إلى إيران من أجل إستمرار بقاء (إسرائيل).

ولاغربة أن نجد حكام عصر الهوان يتنافسون في خدمة سادتهم في محاولة مفضوحة لتهيئة الرأي العام في بلادهم لتقبل عملية ضرب إيران، ولعل ذلك يفسر الحملة الإعلامية التي نشهدها في الأسبوعين الأخيرين ضد إيران وعلو نغمة العداة الشعبية-السني التي ساهم فيها أرباب العمائم والأقلام، ولايفكر أحد منهم بل ولا يجروء على الإشارة إلى الترسانة النووية في (إسرائيل) لأن حكام عصر الهوان لايعنيهم الأمر من قريب ولا من بعيد.